في النوع الذي قبل هذا وأما المذهب الكلامي والمجمسة فعرفه بعضنا في نوع الجمل مع أنواع أخر مجموعة
وأما التمكين والتمامية فعرفه مستوفى في نوع الفواصل وأما حسن التخلص والاستطراد فسيأتيان في نوع
المناسبات وأما حسن الابتداء وبراعة الختام فسيأتيان في نوع الفواتح والخواتم وهنا أنواع البديع مع زوائد
ونفائس كما توجد مجموعة في غير هذا الكتاب الإيهام ويدعى التورية أن يذكر لفظ له معنيان إما بالاشتراك
أو التواطؤ أو الحقيقة والمجاز أحدهما قريب والآخر بعيد ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع
من أول وهلة قال الزمخشري ولا ترى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل
المتشابهات في كلام الله ورسوله قال ومن أمثلتها الرحمن على العرش استوى فإن الاستواء على معنيين
الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه والثاني الاستيلاء
والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور انتهى وهذه التورية تسمى مجردة
لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المورى به ولا المورى عنه ومنها ما تسمى مرشحة وهي التي ذكر فيها
شيء من لوازم هذا أو هذا كقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد فإنه يحتمل الجارحة وهو المورى به
وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود قال ابن أبي الإصبع
في كتابه الإعجاز ومنها قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم فالضلال يحتمل الحب وضد الهدى فاستعمل
أولاد يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب فاليوم ننجيك ببدنك على تفسيره بالدرع فإن البدن يطلق عليه
وعلى الجسد والمراد البعيد وهو الجسد قال ومن ذلك قوله بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث
قال ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ولما كان الخطاب لموسى من
الجانب الغربي وتوجهت إليه اليهود وتوجهت النصارى إلى المشرق كانت قبلة الإسلام وسطا بين
القبلتين قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي خيارا وظاهر اللفظ يوهم التوسط مع ما يعضده من
توسط قبلة المسلمين صدق على لفظة وسط ههنا أن يسمى تعالى به لاحتمالها المعنيين ولما كان المراد
أبعدهما وهو الخيار صلحت أن تكون من أمثلة التورية قلت وهي مرشحة بلازم المورى عنه وهو قوله
لتكونوا شهداء على الناس فإنه من لوازم كونهم خيارا أي عدولا والتي قبلها من قسم المجردة ومن ذلك قوله
والنجم والشجر يسجدان فإن النجم يطلق على الكوكب ويرشحه له ذكر الشمس والقمر وعلى ما لا ساق له من
النبات وهو المعنى البعيد له وهو المقصود في الآية ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر أن من التورية في
القرآن قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس فإن كافة بمعنى مانع أي تكفهم عن الكفر والمعصية والهاء
للمبالغة وهذا معنى بعيد والمعنى القريب المتبادر أن المراد جامعة بمعنى جميعا لكن منع من حمله على
ذلك أن التأكيد متراخ عن المؤكد فكما لا يقال رأيت جميعا الناس لا يقال رأيت كافة الناس الاستخدام هو
والتورية أشرف أنواع البديع وهما سيان بل فضله بعضهم عليها ولهم فيه عبارتان إحداهما أن يؤتى بلفظ
له معنيان فأكثر مرادا به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره مرادا به المعنى الآخر وهذه طريقة السكاكي وأتباعه
والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر وهذه طريقة بدر الدين
بن مالك في المصباح ومشى عليها ابن أبي الإصبع ومثله بقوله تعالى لكل أجل كتاب الآية فلفظ كتاب يحتمل
الأمد المحتوم والكتاب المكتوب فلفظ أجل يخدم المعنى الأول ويمحو يخدم الثاني ومثل غيره بقوله لا تقربوا

الصلاة

الصلوة وأنتم سكارى الآية فالصلاة يحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها وقوله حتى تعلموا ما تقولون
يخدم الأول وإلا جنبا إلا عابري سبيل يخدم الثاني قيل ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكي قلت وقد استخرجت
بفكري آيات على طريقته منها قوله تعالى أتى أمر الله فأمر الله يراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة
النبي صلى الله عليه وسلم وقد أريد بلفظه الأخير كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس في
قوله تعالى أتى أمر الله قال محمد وأعيد الضمير عليه في تستعجلوه مرادا به قيام الساعة والعذاب ومنها
وهي أظهرها قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين فإن المراد به آدم ثم أعاد الضمير عليه
مرادا به ولده فقال ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ومنها قوله تعالى لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم
ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين أي أشياء أخر لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التي سأل عنها الصحابة
فنهوا عن سؤالها الالتفات نقل الكلام من أسلوب إلى آخر أعني التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها
بعد التعبير بالأول هذا هو المشهور وقال السكاكي إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره
وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات
والسآمة من الاستمرار على منوال واحد هذه فائدته العامة ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف
محله كما سنبينه مثاله من التكلم إلى الخطاب ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل
المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه
ترجعون والأصل وإليه أرجع فالتفت من التكلم إلى الخطاب ونكتته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته
لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ثم التفت إليهم لكونه في مقام
تخويفهم ودعوتهم إلى الله كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات وفيه نظر لأنه إنما يكون منه إذا قصد
الإخبار عن نفسه في كلا الجملتين وهنا ليس كذلك لجواز أن يريد بقوله ترجعون المخاطبين لا نفسه
وأجيب بأنه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الإنكاري لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعبده
غير ذلك الراجع فالمعنى كيف لا أعبد من إليه رجوعي وإنما عدل عن وإليه أرجع إلى ترجعون لأنه داخل
فيهم ومع ذلك أفاد فائدة حسنة وهي تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع
ومن أمثلته أيضا قوله وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة ومثاله من التكلم إلى الغيبة ووجهه أن
يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه
ويتبرأ في الغيبة على ما يتبرأ في الحضور قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر والأصل لنغفر لك إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك والأصل لنا أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين
رحمة من ربك والأصل منا إني رسول الله إليكم جميعا الذي إلى قوله فآمنوا بالله ورسوله والأصل وبي وعدل
عنه لنكتتين إحداهما دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها والأخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع
بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوة ومثاله من الخطاب إلى التكلم لم يقع في القرآن ومثل له
بعضهم بقوله فاقض ما أنت قاض ثم قال إنا آمنا بربنا وهذا المثال لا يصح لأن شرط الالتفات أن يكون المراد
به واحدا ومثاله من الخطاب إلى الغيبة حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم والأصل بكم ونكتته العدول
عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم وفعلهم إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1